

نشریه علمی فقه، حقوق و علوم جزا
مقاله پژوهشی، سال نهم، شماره ۳۶، تابستان ۱۴۰۴، صفحات ۱۲ تا ۲۱
تاریخ دریافت: ۱۴۰۴/۰۴/۰۹ - تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۰۵/۲۸

هجاهای صوتی در آیاتی از سوره کهف (مطالعه زبان‌شناختی قرآنی)

محمد طاهر نسیم استادیار در گروه زبان عربی دانشگاه تربیت و آموزش کابل، افغانستان.

چکیده

هجا به عنوان واحد صوتی بنیادی در ساختار گفتار محسوب می‌شود، زیرا حرکت صوتی کوتاه یا بلندی را نمایندگی می‌کند که شبیه تپشی یا جریان هوایی است که از دستگاه تلفظ تولید می‌شود. این حرکت تأثیر بزرگی بر آهنگ زبان دارد، چه نثر باشد و چه شعر. بحرهای شعری بر تتابع معینی از هجاهای بلند و کوتاه متکی است که به شعر آهنگ مخصوص خود می‌دهد. شاعر می‌تواند از این تنوع برای بیان غم، شادی یا شور استفاده کند، جایی که ماهیت هجاهای به کار رفته بسته به حالت عاطفی مورد نظر متفاوت است. تأثیر هجاها در عظیم‌ترین تصاویر قرآن جلوه می‌کند، زیرا آهنگ قرآنی صرفاً ملودی نیست، بلکه انعکاسی از معناست. هجاهای بلند می‌توانند احساس وقار و آرامش ببخشند، در حالی که هجاهای کوتاه سرعت و نشاط را بیان می‌کنند. این هماهنگی صوتی میان کلمات به متن قرآنی قدرت و تأثیری بی‌نظیر می‌بخشد. هنگام تحلیل سوره کهف، نمونه‌های روشنی از چگونگی شکل‌گیری معانی و مفاهیم توسط هجاها می‌یابیم. در آغاز سوره، آهنگی متعادل و آرام در آیاتی که از ستایش خدا سخن می‌گویند به کار رفته، که فضایی از اطمینان و خشوع می‌آفریند. برعکس، هنگام سخن از داستان اصحاب کهف، آهنگ تغییر می‌کند تا در برخی قسمت‌ها پرنشاط‌تر و سریع‌تر شود، که به داستان شتاب و هیجان می‌دهد. تحلیل هجایی ابزاری ضروری برای درک ابعاد زیبایی‌شناختی و معنوی متن قرآنی محسوب می‌شود. از طریق مطالعه تتابع هجاهای کوتاه (حرف متحرک) و هجاهای بلند (حرف متحرک به همراه حرف ساکن)، می‌توانیم کشف کنیم که چگونه این تنوع آهنگ خاصی می‌سازد که احساسات را لمس می‌کند. این تحلیل تنها به جنبه صوتی محدود نمی‌شود، بلکه به جنبه‌های روانی و معنوی نیز کشیده می‌شود و نشان می‌دهد که چگونه هر حرکت صوتی در قرآن دلالت عمیق خود را دارد که معنا را تقویت و تجربه معنوی خواننده را غنی می‌سازد. نویسنده در این مقال از روش کتابخانه‌ای-تحلیلی بهره برده که بر جمع‌آوری و تحلیل داده‌ها مبتنی است.

واژگان کلیدی: هجاها، آیات، صوتی، کهف، مطالعه، زبان‌شناختی.

المقاطع الصوتية في آيات من سورة الكهف (دراسة لغوية قرآنية)

محمد طاهر نسيم نسيم الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بجامعة التربية والتعليم كابول

الملخص

يُعتبر المقطع وحدة صوتية أساسية في بناء الكلام، فهو يمثل حركة صوتية قصيرة أو طويلة، تُشبه النبضة أو الدفقة الهوائية التي تنتج عن جهاز النطق. تؤثر هذه الحركة بشكل كبير في إيقاع اللغة، سواء كانت نثراً أو شعراً. تعتمد الأوزان الشعرية على تتابع معين للمقاطع الطويلة والقصيرة، وهو ما يُعطى القصيدة إيقاعها المميز. يُمكن للشاعر استخدام هذا التنوع للتعبير عن الحزن أو الفرح أو الحماسة، حيث تختلف طبيعته المقاطع المستخدمة تبعاً للحالة الشعورية المراد إيصالها. يتجلى تأثير المقاطع في أعظم صور القرآن، فالإيقاع القرآني ليس مجرد لحن، بل هو انعكاس للمعنى. يُمكن للمقاطع الطويلة أن تُضفي شعوراً بالوقار والهدوء، بينما تُعبر المقاطع القصيرة عن السرعة والحيوية. هذا التناغم الصوتي بين الكلمات يُضفي على النص القرآني قوة وتأثيراً لا مثيل له. عند تحليل سورة الكهف، نجد أمثلة واضحة على كيفية تشكيل المقاطع للمعاني والدلالات. في بداية السورة، يُستخدم إيقاع متوازن وهادئ في الآيات التي تتحدث عن الثناء على الله، مما يُضفي جواً من الطمأنينة والخشوع. على النقيض من ذلك، عند الحديث عن قصة أصحاب الكهف، يتغير الإيقاع ليصبح أكثر حيوية وسرعة في بعض المواضع، مما يُعطى القصة زخماً وتشويقاً. يُعد التحليل المقطعي أداة ضرورية لفهم الأبعاد الجمالية والروحية للنص القرآني. من خلال دراسة تتابع المقاطع القصيرة (حرف متحرك) والمقاطع الطويلة (حرف متحرك يتبعه حرف ساكن)، يمكننا أن نكتشف كيف يُشكل هذا التنوع إيقاعاً خاصاً يلامس الوجدان. هذا التحليل لا يقتصر على الجانب الصوتي فحسب، بل يمتد ليشمل الجوانب النفسية والمعنوية، مُبيناً لنا كيف أن كل حركة صوتية في القرآن لها دلالتها العميقة التي تُعزز المعنى وتُثري التجربة الروحية للقارئ. واستفاد الكاتب في هذا المقال عن المنهج المكتبي التحليلي الذي يقوم على جمع البيانات و تحليلها.

كلمات مفتاحية: المقاطع، الصوتية، آيات، الكهف، دراسة، لغوية.

المقدمة

تُعد المقاطع الصوتية من أهم المظاهر التي تُشكّل البنية الصوتية للنصوص الأدبية. فكل كلمة، وكل تركيب لغوي، يتكون من مجموعة من المقاطع التي تحمل في طياتها دلالات ومعاني عميقة. إن التتابع الصوتي لهذه المقاطع يُضفي على النص خصائص صوتية مميزة، قد لا تكون واضحة عند تحليل الكلمات أو الأصوات بشكل فردي.

١٣ المقاطع الصوتية في آيات من سورة الكهف (دراسة لغوية قرآنية) (محمد طاهر نسيم)

فالإيقاع الناتج عن تتابع المقاطع يعكس حالات نفسية ومشاعر مختلفة؛ فقد يُعبّر عن السرعة أو البطء، الفرح أو الحزن، والهدوء أو التوتر، وذلك بناءً على طبيعة المقاطع المستخدمة (قصيرة أو طويلة) وترتيبها. هذا التناغم الصوتي يُشكّل أسلوباً فريداً يُمكن من خلاله فهم أبعاد النص ودلالاته غير المباشرة.

تُعد دراسة المقاطع الصوتية في القرآن الكريم من المجالات الغنية التي تستحق مزيداً من البحث والتحليل. فقد أُشير إلى أهمية هذه المقاطع بشكل عابر في كتب التفسير الموسوعية والكتب اللغوية، لكنها لم تُتخذ كموضوع رئيسي لرسائل علمية أو أبحاث متخصصة.

هذا النقص في المراجع العلمية المتعمقة يُشكّل مشكلة بحثية تُعيق طلاب العلم والباحثين في مجال الدراسات القرآنية من الخوض في هذا الجانب الهام من الإعجاز البياني للقرآن. ولهذا، يهدف هذا البحث إلى دراسة المقاطع الصوتية في بعض الآيات القرآنية، ليكون بمثابة نقطة انطلاق تُسهّل للباحثين المسار في هذا الميدان، وتُشجّعهم على استكشاف الأبعاد اللغوية والصوتية في القرآن الكريم بشكل أعمق.

أهمية دراسة المقاطع الصوتية في الدراسات الأدبية والقرآنية

تُعد دراسة المقاطع الصوتية من المجالات الحديثة والمتجددة في الدراسات الأدبية، لما لها من أثر كبير في تحليل النصوص. فهي تُقدّم أدوات جديدة لفهم البنى اللغوية، مثل الصرفية والصوتية والأسلوبية، وتُساهم في توجيه الدلالة وتصحيح الفهم للعديد من الظواهر النحوية واللغوية. تزداد أهمية هذه الدراسة عند تطبيقها على النصوص القرآنية، حيث تتجلى فيها القوة التعبيرية للمقاطع الصوتية بشكل واضح، ما يجعلها أداة فعّالة لفهم الأبعاد الجمالية والإعجازية لهذه النصوص. ولهذا، يهدف هذا البحث إلى استكشاف هذا الجانب الحديث من التحليل اللغوي وتطبيقه على بعض آيات من سورة الكهف في القرآن الكريم.

مشكلة البحث: أن دراسة المقاطع الصوتية القرآنية مدروسة في طيات كتب التفسير الموسوعية والكتب اللغوية المتخصصة، ولم تُخرَج كرسالة أو بحث علمي مدقّق إلى حيز الوجود حتى يستفيد منها طلاب العلم والمعرفة، ومن هنا قام الباحث بدراسة المقاطع الصوتية في بعض آيات من القرآن الكريم ليسهل المسير لطلاب الدراسات القرآنية ويجعل أمامهم طرق الخوض في غمار الدراسات اللغوية في القرآن الكريم.

أسئلة البحث: ما هي أثر المقاطع الصوتية في الدراسات الأدبية الحديثة؟

هل دراسات المقطعية تعد بحق من المباحث المجددة في الدراسات اللسانية الحديثة؟

هل الدراسات المقطعية تقدم خدمات جليّة لتفسير الظواهر اللغوية في القرآن الكريم؟

الأهداف العامة والخاصة: إن دراسة المقاطع الصوتية تعين على فهم دقيق للنصوص عامة وفهم آيات القرآن الكريم خاصة، إن دراسة المقاطع الصوتية كذلك تعين الدارس والباحث على فهم المعاني الدلالية للنصوص عامة وتعين لفهم المعاني الدلالية في الآيات القرآنية بصورة أخص، إن إدراك المقاطع الصوتية تشير إلى صورة فنية أدبية بلاغية في النصوص عامة وإلى صورة فنية إعجازية في آيات القرآن خاصة. هذه الدراسة تعمق القارئ والدارس في فهم وإدراك المقاطع

القصيرة والمتوسطة والطويلة في بعض آيات من القرآن ومدى دلالاتها إلى المعاني المقصودة فيها والغايات التي تتبعها الآيات في ترشيد المجتمعات الإنسانية.

الدراسات السابقة: أن كثير من المفسرين أشاروا في تفاسيرهم إلى دراسات لغوية متفرقة، كعلامه جار الله الزمخشري في تفسيره القيم (الكشاف) وعلامه النسفي في تفسيره العظيم مدارك التنزيل، وهناك باحثون وكتاب قاموا بدراسات لغوية عامة في اللغة العربية في كتب مستقلة، كأنيس إبراهيم ويحيى عباينه.

لكننا نحتاج اليوم إلى دراسات قرآنية لغوية تطبيقية منسقة ومستخرجة في بحوث دقيقة وسهلة لنقدمها لأبناءنا ومجتمعاتنا، ومن هذه الغاية النبيلة نبعت فكرة هذا البحث.

الدراسات السابقة والمنهج المتبع

على الرغم من أن بعض المفسرين القدامى، مثل الزمخشري في "الكشاف" والنسفي في "مدارك التنزيل"، قد أشاروا إلى جوانب لغوية متفرقة، وبعض الباحثين المعاصرين، مثل أنيس إبراهيم ويحيى عباينه، قد قدموا دراسات لغوية عامة، إلا أن الحاجة اليوم ملحة لدراسات تطبيقية منسقة ومركزة على القرآن الكريم.

هذا النقص في الأبحاث المنهجية هو ما دفع إلى فكرة هذا البحث. ولهذا، سيتبع البحث المنهج المكتبي التحليلي، الذي يعتمد على جمع البيانات من المراجع المختلفة، وتحليلها، ثم تطبيقها بشكل دقيق على النماذج المختارة من القرآن الكريم، لتقديم نتائج واضحة وميسورة للقارئ.

مفهوم المقاطع الصوتية

تُعد المقاطع الصوتية ظاهرة صوتية أساسية في بناء الكلام، ورغم تعدد تعريفاتها، يمكن فهمها على أنها "تتابع من الأصوات الكلامية يمتلك قمة إسماع طبيعية تقع بين حدين أدنى من الإسماع" (عبد الجليل، ١٩٨٨). كما عُرِّفت بأنها "حركة قصيرة" أو "طويلة تكتنفها أصوات ساكنة" (أنيس، ٢٠١٤).

يتميز التعريف الأول بقدرته على توضيح مفهوم النبر، الذي يلعب دوراً رئيسياً في تحديد الإيقاع الموسيقي للعبارة، بينما يفيد التعريف الثاني بشكل خاص في الدراسات الصرفية وتحليل بنية الكلمة. يجب الأخذ في الاعتبار أن تحديد المقاطع قد لا يكون دائماً سهلاً، لأن أجزاء الكلام غالباً ما تكون متداخلة (عبابنة، ٢٠٠٠).

تنوع المقاطع وأثره على الإيقاع

يُشكل التنوع بين المقاطع القصيرة والمتوسطة والطويلة إيقاعاً متناغماً، يحمل دلالات خاصة تتغير حسب سياق النص. هذا التنوع يظهر بشكل جلي في الشعر، حيث يتحدد الإيقاع من خلال مواقع النبر الأولى والثانوى والارتكاز.

التحليل المقطعي في سورة الكهف

عند تحليل آيات من سورة الكهف، نجد أن إيقاعها المقطعي يُشبه في بعض الأحيان أوزان الشعر، لكن التلاوة والترتيل القرآني يُعطيها إيقاعاً خاصاً ومتميزاً. فالقرآن يمتلك "إيقاعاً متوازناً لا موزوناً كالشعر" (أنيس، ٢٠١٤)، وهو ما يمنح شعور الملل ويضفي على النص قوة وجاذبية فريدة.

١٥ المقاطع الصوتية في آيات من سورة الكهف (دراسة لغوية قرآنية) (محمد طاهر نسيم)

على الرغم من التشابه الإيقاعي في بعض الأحيان، فإن طبيعة الإنشاد في الشعر تختلف تماماً عن طبيعة الترتيل في القرآن.

عرض أمثلة تحليلية من سورة الكهف:

* الآية ٣١: ﴿يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾

* تحليل المقطع: يُمكن أن يُقابل هذا المقطع في الوزن الشعري ما يُشبه البحر الطويل: (فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُنْ).

* الآية ٢٩: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

* تحليل المقطع: يُمكن أن يُقابل هذا المقطع وزن البحر الطويل: (فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ).

* الآية ٢٩: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ﴾

* تحليل المقطع: يُقابل هذا المقطع وزن البحر المتقارب: (فَعُولُنْ / فَعُولُنْ / فَعُولُنْ / فَعُولُنْ).

تُظهر هذه الأمثلة كيف أن التحليل المقطعي يُمكن أن يكشف عن الأبعاد الموسيقية للغة القرآن، ويُسلط الضوء على الإيقاع الخاص الذي يُميزه عن الشعر، ويُعزز من فهمنا للإعجاز البياني في النص القرآني (عمر، ٢٠١٨).

جمال الإيقاع القرآني وأسراره

يتمتع الأسلوب القرآني بجمال فريد ينبع من تناسق مقاطعه الصوتية، لدرجة أن بعض آياته يمكن أن تتوافق مع أوزان شعرية معينة، لكنها تفوق الشعر في تأثيرها. هذا التناغم الصوتي "يطمئن إليه الأسماع وينفذ إلى القلوب" (أنيس، ٢٠١٤)، ويُعطى القرآن الكريم قوة إيقاعية خاصة. من خلال دراسة إحصائية لتنوع المقاطع، نسعى لفهم البعد النفسي للمتكلم وتأثيره في المتلقي، وكيف أن هذا التشكل الصوتي يُعزز من المعنى (أنيس، ٢٠١٤).

تأثير الظواهر الصوتية على تشكيل المقاطع

تتأثر بنية المقاطع الصوتية بظواهر لغوية متعددة، مثل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير. فالحذف سواء كان لحرف أو كلمة، ليس مجرد اختصار، بل له دلالات عميقة. من ناحية، يُعد عنصراً للتخفيف اللفظي، ومن ناحية أخرى، يُحدث حركة في النبر داخل الكلمة، ما يؤدي إلى "انزياح إيقاعي" لهدف موسيقي أو معنوي ونفسي.

تحليل الحالات النفسية من خلال المقاطع في سورة الكهف

يُمكن للمقاطع أن تكشف عن الحالة النفسية للمتكلم بشكل واضح، كما يتضح في حوار الرجلين في سورة الكهف.

عندما يتحدث الرجل الكافر عن نفسه، تظهر في كلماته حالة نفسية قلقية. في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الآية ٣٩)، يتشكل النص من مقاطع موزعة بين قصيرة ومتوسطة، مع زيادة واضحة للمقاطع القصيرة. هذه المقاطع القصيرة تُعطى إحساساً بالسرعة والاضطراب، مما يدل على حالة نفسية مضطربة وغير مستقرة.

فی المقابل، يظهر الرجل المؤمن في موقف هادئ ومطمئن بقضاء الله. في دعائه: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (الآية ۴۰). تتناغم في هذه الآية سمات أسلوبية وصوتية مختلفة، تُشكل وحدة فنية متكاملة.

* الجانب الصوتي: تتمركز الأصوات في نهاية الآية بكلمات مثل ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾، مما يُعطي إحساساً بالقوة والحسم (عبابنة، ۲۰۰۰).

* الجانب النفسي: يُظهر التشكل المقطعي في قوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ حالة نفسية هادئة، مليئة بالثقة والأمل في الله، وهو ما ينعكس في إيقاع العبارة المتوازن والمطمئن.

إن هذا التحليل يؤكد أن المقاطع الصوتية ليست مجرد وحدات لغوية، بل هي أدوات تعبيرية تكشف عن عمق المعاني والأحوال النفسية في النص القرآني، مما يُعزز من إعجازه البياني (السقا، ۲۰۰۹).

من خلال تتبع بنية المقاطع الصوتية (قصيرة، متوسطة، وطويلة)، يمكننا استنتاج الحالة الشعورية للمتكلم، وكيفية تأثيرها في المتلقي.

تأثير الحذف على المقاطع الصوتية

في دعاء الرجل المؤمن، في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ (الآية ۴۰)، تتشكل العبارة من ۱۷ مقطعاً، ۸ منها قصيرة و ۹ متوسطة. هذا التوازن المائل للهدوء يعكس نفسية الرجل المؤمن المطمئنة، التي تتسم بالرجاء والدعاء. ويزداد هذا الأثر وضوحاً مع تكرار ظاهرة حذف ياء المتكلم، التي تُسهّم في تحقيق هذا التوازن الإيقاعي.

المقاطع الصوتية والدلالات المتناقضة

تُظهر المقاطع الصوتية تبايناً دقيقاً بين المعاني والحالات النفسية:

* القوة والإنذار: في تتمه الآية ۴۰: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، يزداد عدد المقاطع القصيرة (۱۳ مقطعاً قصيراً مقابل ۱۲ متوسطة). هذا التمرکز للمقاطع القصيرة عند كلمات مثل ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ يُعبر عن قوة وضغط صوتي، ما يعكس انفعال الرجل المؤمن ورغبته في تحذير الكافر.

* الروحانية والمادية: تُظهر المقاطع تبايناً في الدلالة بين ما هو سماوي وما هو دنيوي.

* المقاطع الطويلة ارتبطت بما عند الله ﴿فَعَسَى رَبِّي﴾، ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، ما يدل على حالة نفسية من الهدوء والسكينة.

* المقاطع القصيرة ارتبطت بما هو دنيوي ﴿يُؤْتِيَنِي﴾، ﴿جَنَّتِكَ﴾، ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، ما يعكس طبيعة الأمور المادية التي قد تكون سريعة الزوال.

التوازن المقطعي في حالة اليقين الكاذب

يُقدم لنا النص القرآني مثالاً آخر على علاقة المقاطع بالحالة النفسية، لكن هذه المرة مع الرجل الكافر.

* في قوله تعالى: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الآية ٣٥)، تتساوى المقاطع القصيرة والمتوسطة (٧ مقاطع لكل منهما). هذا التوازن المقطعي يُعبر عن حالة اطمئنان كاذب لدى الكافر، الذي يظن أن نعمته لن تزول.

* تتكرر هذه الظاهرة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، حيث تتساوى المقاطع القصيرة والطويلة (٦ مقاطع لكل منهما). هذا التساوى يُشير إلى شعوره بالطمأنينة فيما يقوله من إلحاد، وهو اطمئنان لا يليق بمن ينكر قدرة الله (صالح، ٢٠٠٥).

تنوع الأساليب في حوار أصحاب الكهف

يُظهر حوار أصحاب الكهف (الآية ١٩) ثراءً أسلوبياً يبرزه التحليل المقطعي:

* طول الحوار: تتميز الآية بطولها، مما يتطلب إيقاعاً مريحاً للمتلقى. وتغلب المقاطع الطويلة (٦٤ مقطعاً طويلاً مقابل ٤٦ قصيراً) تُشير إلى حالة من الهدوء العام.

* مركزية فكرة البعث: تتمركز المقاطع القصيرة في بداية الآية، وتحديدًا حول كلمة ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾، ما يبرز الفكرة الرئيسية للآية والسورة، ويُعطيها أهمية صوتية ودلالية.

* الحذر واليقظ: تتمركز المقاطع القصيرة حول كلمة ﴿أَحَدَكُمْ﴾ و ﴿بَوْرَقَكُمْ﴾، ما يُظهر حالة اليقظ والحذر التي كان عليها أصحاب الكهف (الآلوسي، ٢٠١٠).

* التلطف في الدعوة: يُعد فعل ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ محوراً أسلوبياً هاماً. تركيبته الصوتية (حروف الهمس) ودلالته (الرفق واللين) تُبرز أهمية هذا المبدأ في التعامل مع الآخرين، وهو ما يُعد من مرتكزات الدعوة الإسلامية.

الانضباط الإيقاعي في آية التخيير

في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الآية ٢٩)، يتجلى الانضباط الإيقاعي بشكل واضح. فالمقاطع المتوسطة المغلقة في جملتي ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ و ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ تتساوى في العدد والنوع، ما ينسجم مع التقابل في المعنى بين الإيمان والكفر، ويشكل إيقاعاً متوازناً يُعزز من دلالة الآية (النسفي، ١٩٨٩، ٣).

تأثير المقاطع الطويلة على الحالة النفسية في القرآن الكريم

تُعد المقاطع الطويلة سمة صوتية تُعزز من إيقاع الهدوء والاستقرار في النص القرآني. من خلال تحليل بعض الآيات في سورة الكهف، يمكننا ملاحظة كيف تتناغم هذه المقاطع مع المعنى المُتعلق بالثبات واليقين.

دلالة المقاطع الطويلة على الاستقرار والطمأنينة

* طمأنينة أهل الجنة:

عندما يتحدث النص عن نعيم الجنة في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الآية ٣)، يتكون المقطع من ٩ أجزاء، منها ٥ مقاطع طويلة. هذه الزيادة في المقاطع الطويلة تُعبر عن حالة الاستقرار النفسي والاطمئنان التي يشعر بها المؤمنون في الجنة، حيث لا يوجد قلق أو نهاية.

* ثبات القرار الإلهي:

في الآية التي تصف مصير الأرض: ﴿وَأَنَا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (الآية ۸)، تتشكل العبارة من ۱۸ مقطعاً، منها ۱۰ مقاطع طويلة. تُعطى هذه الزيادة في المقاطع الطويلة شعوراً بالهدوء والثبات، وهو ما يتناسب مع القرار الإلهي النافذ، الذي لا رجعة فيه، بأن الأرض ستؤول إلى الخراب.

* يقين العلم الإلهي:

عندما يرفع الله الغموض عن قضية زمن نوم أهل الكهف في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الآية ۲۵)، يتكون النص من ۲۲ مقطعاً، منها ۱۲ مقطعاً طويلاً. تؤكد هذه الزيادة في المقاطع الطويلة على أن المعلومة قاطعة وبقينية من الله، ما يقطع الطريق على التساؤلات والشكوك.

تتكرر هذه الظاهرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (الآية ۲۲)، حيث تتكون العبارة من ۲۰ مقطعاً، منها ۱۲ مقطعاً طويلاً. هذا التركيز على المقاطع الطويلة يضمن على الآية شعوراً بالاستقرار النفسي عند سماعها، لأنها تُقدم قراراً حاسماً من الله (الزمخشري، ۱۹۹۸، ۵).

* الهدوء في مقام التعليم:

تُصاحب المقاطع الطويلة حالة الهدوء اللازمة للتعليم والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (الآية ۲۳). يتكون النص من ۱۹ مقطعاً، منها ۱۱ مقطعاً طويلاً، ما يُشكل إيقاعاً هادئاً ومناسباً لتقديم التوجيه الإلهي الذي تتطلبه الآية.

* الراحة والاطمئنان النفسي:

في وصف جنات الرجلين في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (الآية ۳۲)، تتكون العبارة من ۴۷ مقطعاً، منها ۲۵ مقطعاً طويلاً. هذا الطول في المقاطع يُعبر عن شعور الإنسان بالراحة والاطمئنان الذي تُسببه النعمة، ما يظهر في إطالة الأصوات وتوازن المقاطع.

المناقشة والاستنتاج:

يُظهر التحليل المقطعي في سورة الكهف أن بنية المقاطع الصوتية ليست عشوائية، بل هي أداة فنية تُعبر عن الحالات النفسية والدلالات المعنوية في النص القرآني.

۱. المقاطع القصيرة ودلالة الحركة والسرعة

تُعطى المقاطع القصيرة إحساساً بالحركة والسرعة، وهو ما يتناسب مع سياق الأحداث السريعة.

* تلهف موسى عليه السلام: في الآية التي تصف رحلة موسى وفتاه، تزيد المقاطع القصيرة عن الطويلة (۱۹ مقطعاً قصيراً مقابل ۱۵ طويلاً). هذا التشكيل يُعبر عن التلهف والحركة السريعة التي قام بها موسى وفتاه للوصول إلى الموعد. كما أن تمرکز المقاطع القصيرة (خمس مقاطع متتالية) عند ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ يؤكد على مركزية الحدث وصورة الحوت الذي "سرب" في البحر.

١٩ المقاطع الصوتية في آيات من سورة الكهف (دراسة لغوية قرآنية)
(محمد طاهر نسيم)

* عجلة موسى في الاعتراض: في حوار موسى مع العبد الصالح، تتكرر زيادة المقاطع القصيرة في آيات مثل:

* الآية ٦٣: (١١ قصيراً مقابل ٩ طويلاً).

* الآية ٧١: (١٠ قصيراً مقابل ٩ طويلاً).

* الآية ٧٤: (١١ قصيراً مقابل ١٠ طويلاً).

هذه الزيادة في المقاطع القصيرة تُعبر عن سرعة موسى عليه السلام في الاعتراض وعدم صبره على ما لم يدرك حكمته، وتُبرز أن جوهر القضية هو الصبر. كما أن تمرکز المقاطع القصيرة عند كلمات مثل ﴿حَرَقَهَا﴾، ﴿فَقَتَلَهُ﴾، و ﴿فَأَقَامَهُ﴾ يُشير إلى مركزية هذه الأحداث ومفاجأتها.

* الحسرة والاضطراب النفسي: في قصة صاحب الجنتين، تُعبر المقاطع القصيرة عن الحسرة والقلق. في قوله تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ (الآية ٤٢)، تزيد المقاطع القصيرة بشكل ملحوظ (١٧ مقطعاً قصيراً مقابل ١١ طويلاً). هذا الإيقاع السريع يُعبر عن حالة التوتر والقلق التي أصابت الرجل الكافر بعد خسارته، كما أن تمرکز المقاطع القصيرة حول كلمة ﴿بِثَمَرِهِ﴾ يؤكد على أن هذا "الثمر" كان بؤرة الحدث النفسي ومصدر تعلقه.

٢. المقابلة المقطعية ودلالاتها المعنوية

تُظهر المقاطع الصوتية توازناً دقيقاً في المقارنات المعنوية:

* في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الآية ٤٦)، يقابلها قوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾.

* العبارة الأولى (زينة الدنيا) تتشكل من ١٥ مقطعاً.

* العبارة الثانية (الباقيات الصالحات) تتشكل من ٢٥ مقطعاً.

هذا الفرق الملحوظ في عدد المقاطع يتناسب مع الفرق في القيمة بين زينة الدنيا الفانية والنعيم الأبدى في الآخرة. كما أن تمرکز المقاطع القصيرة حول ﴿عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ يُشكل عنصر جذب للانتباه، ويؤكد أن هذا المعيار الإلهي هو أساس المقارنة.

٣. التنوع اللفظي والمقطعي: بين "تستطع" و "تسطع"

يُمكن للتحليل المقطعي أن يكشف عن دلالة اختيار الألفاظ في القرآن الكريم، حتى في اختلافات اللهجات.

* تعبير عن الرغبة: في قوله تعالى: ﴿سَأَنْبِئَكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الآية ٧٨)، يُعطى وجود التاء في كلمة "تستطع" مقطعاً قصيراً إضافياً، مما يُعبر عن رغبة موسى عليه السلام الملحة في معرفة الحقيقة.

* تعبير عن الهدوء: بعد أن عرف موسى حقيقة الأحداث، هدأ واطمأن، فتأتى الآية: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الآية ٨٢)، بحذف التاء، مما يُقلل عدد المقاطع القصيرة ويُعزز من الإيقاع الهادئ، في توافق تام بين الحالة النفسية واللغة.

يتكرر هذا التناغم في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الآية ٩٧)، حيث: * اللفظ الأقصر ﴿اسْطَاعُوا﴾ ارتبط بالمعنى الأسهل ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾.

* اللفظ الأطول «استطاعوا» ارتبط بالمعنى الأصعب «نقياً».

يؤكد التحليل المقطعي أن هذا التنوع اللفظي ليس صدفة، بل هو اختيار فني دقيق يُعبر عن الدلالة بشكل صوتي، حيث تتناغم المقاطع الطويلة والهادئة مع المعنى السهل، بينما تتناغم المقاطع القصيرة والسريعة مع المعنى الذي يتطلب جهداً أكبر.

النتائج النهائية:

من خلال تحليلنا للأمثلة السابقة، يظهر أن البنية المقطعية في القرآن الكريم ليست عشوائية، بل هي أداة فنية تُعبر عن المعاني والحالات النفسية المختلفة. يمكن تلخيص النتائج الرئيسية فيما يلي:

* المقاطع الطويلة ودلالة الهدوء والقرار:

غالباً ما تتزايد نسبة المقاطع الطويلة في الآيات التي تتضمن قرارات إلهية ثابتة، مثل مصير المؤمنين في الجنة، أو الحقائق الكونية التي لا تقبل الجدل. هذه المقاطع تُضفي على النص إحساساً بالاستقرار والاطمئنان، ما يتناسب مع عظمته هذه القرارات.

* المقاطع القصيرة ودلالة الحركة والسرعة:

على النقيض من ذلك، تزداد نسبة المقاطع القصيرة في الآيات التي تتناول أحداثاً سريعة أو حوارات مفاجئة. هذه المقاطع تُشبه النبضات السريعة، وتُعطى إحساساً بالحركة والتوتر، وهو ما يتناسب مع سياق الأحداث التي تتطلب سرعة في الأداء.

* تمرکز المقاطع الصوتية:

من أبرز الظواهر التي تميز الأسلوب القرآني هو تمرکز المقاطع من نوع واحد (قصيرة أو طويلة) في نقاط معينة من النص. هذا التمرکز يُشكل ظاهرة لافتة لا تحدث في الشعر بنفس الدقة، وهو ما يُعطى القرآن الكريم تميزاً فنياً. هذه النقاط المركزية غالباً ما تكون محور الحدث أو الدلالة الرئيسية في الآية.

تحليل المقاطع القصيرة في حوار موسى والعبد الصالح

تظهر المقاطع القصيرة بشكل لافت في قصة موسى والعبد الصالح، لتعبر عن طبيعة الأحداث السريعة وغير المتوقعة:

* «فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا» (الآية ٦١): تُعبر المقاطع القصيرة عن الحركة السريعة لموسى وفتاه، وتُبرز الحدث المفاجئ للحوث الذي "سرب" في البحر.

* «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا» (الآية ٧١): تتزايد المقاطع القصيرة لتُعبر عن السرعة والمفاجأة التي أصابت موسى عليه السلام عند رؤيته للعبد الصالح وهو يخرق السفينة.

* «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَ غُلَامًا فَقَتَلَهُ» (الآية ٧٤): هنا أيضاً، تُبرز المقاطع القصيرة الحدث المفاجئ وغير المتوقع بقتل الغلام، وتُعبر عن صدمة موسى وسرعته في الاعتراض.

٢١ المقاطع الصوتية في آيات من سورة الكهف (دراسة لغوية قرآنية)
(محمد طاهر نسيم)

* ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ (الآية ٧٧): يتكرر هنا الإيقاع السريع للأحداث، وتتمركز المقاطع القصيرة حول الحدث الأبرز، وهو إقامة الجدار، مما يُعزز من إيقاع القصة وتأثيرها.

المصادر والمراجع

- [١] القرآن الكريم.
- [٢] أنيس، إبراهيم. (٢٠١٤م). موسيقى الشعر، الناشر: دار الملايين - القاهرة.
- [٣] البروسى، إسماعيل. (٢٠١٠م). تفسير روح البيان، المجلد الخامس، ط٢، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- [٤] التيمي، سعد محمد. (٢٠٠٧). اتجاهات البلاغية في تفسير البحر المحيط، الناشر: مكتبة الرسالة، بيروت - لبنان.
- [٥] الحامضى، غالب بن محمد. (٢٠١٧). أسلوب الالتفات وأقسامه في القرآن الكريم، الناشر: دار الكتب العلمية، القاهرة - مصر.
- [٦] الزمخشري، محمود جار الله. (١٩٩٨م). أساس البلاغة؛ تحقيق فريد نعيم وشوقي المعري، ط٢، الناشر: دار ابن كثير للنشر والتوزيع - بيروت.
- [٧] السقا، محمود عبد الحميد. (٢٠٠٩). من الدراسات البلاغية للقرآن الكريم سورة المؤمنون نموذج تطبيقي، الناشر: دار الفكر، طنطا - مصر.
- [٨] صالح، مخيمر. (٢٠٠٥). معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، الناشر: دار الكتب الثقافية، القاهرة - مصر.
- [٩] عبابنة، يحيى. (٢٠٠٠م). دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ط١، الناشر: دار الشروق - عمان.
- [١٠] عبد الجليل، عبد القادر. (١٤١٨هـ ق). هندسة المقاطع الصوتية، ط١، الناشر: دار الصفاء للنشر والتوزيع - عمان.
- [١١] عمر، أحمد مختار. (٢٠١٨م). دراسات الصوت اللغوي، ط١، الناشر: دار الرسالة - بيروت.
- [١٢] النسفى، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (١٩٨٩م). تفسير النسفى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)؛ حققه وخرج أحاديثه: يوسف على بديوى. راجعه وقدم له: محيى الدين ديب مستو، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.